مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٢/٢٠١١ هـ.ق، العدد ١٨ (٤) ١٠١-١٢٢

مظاهر من الأبحاث الدلالية في التراث العربي و الإسلامي

مهين حاجي‌زاده[١]

تاريخ الوصول: ١٤٣١/٣/٢٨ تاريخ القبول: ١٤٣٢/١/٢٨

إن الدلالة من الموضوعات التى اهتمّ بها الفكر الإنسانى منذ القدم و لعلماء العربية و المعارف الإسلامية دور كبير في دراسة المعنى. و قد قام العرب بدراسة لغتهم لسبب أساسي ديني يتمثل في المحافظة على لغة القرآن لصحة تلاوته و استخلاص الأحكام و التشريعات منه، و كان للخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة الآيات بشكل غير صحيح أكبر الأثر في النهوض بهذه الدراسة. لذلك تركّز البحث اللغوي عند العرب منذ بداياته على تحديد المعنى و ما يحتويه القرآن الكريم من معانٍ و مقاصد. و كانت الحوارات العلمية و النقاشات المعرفية بين العلماء تصبّ كلّها في خانة المعنى. لكن التناول الدلالي في التراث الإسلامي و العربي كان ضمن اهتمامات لغوية أخرى، امتزج البحث فيه بضروب من المعارف المختلفة دون أن يحمل عنواناً مميزاً له استقلال في موضوعاته ومعاييره الخاصة. و لكن مع الأسف ظن كثير من الباحثين أن علم الدلالة علم نمت أصوله و ترعرعت في ظل الدراسات اللسانية الحديثة و لم يكن للعرب و العلماء المسلمين معرفة به. و الحقّ أنّ البحوث الدلالية العربية تضرب بجذورها إلى القرون الثالث و الرابع و الخامس الهجرية فما بعد، و هذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية و أصّله الدارسون في جوانبها.

تهدف هذه الدراسة في مقامها الأول إلى إبراز جهود علماء اللغة العربية والمعارف الإسلامية في القضايا الدلالية، و توضيح مدى اهتمامهم بالمعنى، و من ثم البرهنة على أصالة الدلالة عند الباحثين العرب من اللغويين و النحويين و البلاغيين بأن الدلالة علم إسلامي – عربي له سماته و مميزاته. في الوقت نفسه تشير إلى أن لعلم اللسانيات فضلاً كبيراً في إرساء مناهج البحث في علم الدلالة و وضع أصوله، حيث أصبح علماً قائماً بذاته، بعد أن كان ظلاً يسير في كنف العلوم الأخرى. إضافة إلى ذلك

١. أستاذ مساعد و عضو هيئة تدريس بجامعة تربيت معلم (أذربيجان) hajizadeh_tma@yahoo.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

بينت الدراسة أن كثيراً من معطيات الدرس الدلالي الحديث توصل لها علماء العربية والمعارف الإسلامية أثناء دراستهم للغة، مما جعلنا نعتقد أن علم الدلالة علم قديم تناوله اللغويون من قبل، و حديث باعتبار أن أصوله و أسسه و منهج البحث فيه قد حددت في مطلع القرن العشرين.

الكلمات الرئيسية: علم الدلالة، المعنى، التراث، اللسانيات، علماء اللغة العربية و المعارف الإسلامية.

١ – مقدمة

علم الدلالة هو اصطلاح حديث لكلمة "Semantique" الفرنسية أو "Semantics" الإنجليزية. و أصل الكلمة الفرنسية هو اصطلاح وضعه اللغوي الفرنسي بريال[1] سنة ١٨٩٧ وورد في كتابه "Essai de sémantique" مقالات في علم الدلالة و الكلمة تعود إلى الكلمة اليونانية "sema" التي تعني «علامة». و مما يجدر ذكره هنا أن كلمة "sema" المؤلفة من الحرفين الأصليين s m قريبة الشبه من الجذر العربي المؤلف من الأصلين س، م اللذين يرافقهما حرف لين، فهناك: (سمة) بمعنى العلامة وهي مشتقة من الأصل (وسم) أي علّم الشيء. و هناك من يرى أنّ (اسم) قد اشتقّ من (وسم). و قد اختلف المؤلفون العرب في مقابلة مصطلح "Semantics" فبعضهم يقابله بعلم المعنى وبعضهم يقابله باصطلاح دلالة الألفاظ. و لكن الأكثرشيوعا الآن هو علم الدلالة (عمران، ٢٠٠٧: ٩، داية، ١٩٩٦: ٦).

لعلماء العربية جهود نيرة و ثاقبة في الدرس اللغوي على اختلاف ميادينه، فقد كانوا يصدرون في دراساتهم اللغوية عن رؤية شاملة انبثقت من تصورهم للغة على أنها وسيلة للتفاهم و وعاء للفكر. و البحث اللغوي عند العرب منذ بداياته تركز على تحديد المعنى و ما يحتويه القرآن الكريم من معانٍ و مقاصد. فقد كان هم الدراسات العربية بمختلف فروعها و مسمياتها من نحو و صرف و بلاغة و لغة و معاجم «معرفة المعنى» و كانت الحوارات العلمية و النقاشات المعرفية بين العلماء تصبّ كلّها في خانة المعنى و قرروا أن «كل ما صلح به المعنى فهو جيد و كل ما فسد به المعنى فمردود» (المبرد، لا تا، ٣١١/٤). و هذا أقوى دليل على المكانة التي يحتلها علم المعنى. لذا كان علم الدلالة – كما يبدو لنا – جزءاً ملازماً لعلوم اللغة العربية لم ينفصل عنها، إلا أنه اتخذ مساراً مستقلاً و متكاملاً قائماً بذاته عند علماء الأصول. و لكن مع الأسف ظن كثير من الباحثين أنه لم يكن للعرب معرفة بعلم الدلالة، فهو علم نمت أصوله و ترعرعت في ظل الدراسات اللسانية الحديثة. و لسنا نشك في أن لعلم اللسانيات اليد الطولى في الكشف عن أسس هذا العلم و بيان أصوله و تعهده بالرعاية و العناية حتى غدا علماً قائماً بذاته بعد أن كان ظلاً يسير في كنف الدراسات اللغوية الأخرى. و لكن أين دور علماء العربية و المعارف الإسلامية في هذا المجال؟ و هم الذين «بحكم مميزات حضارتهم و بحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دعوا إلى التفكر في اللغة في نظامها و قدسيتها و مراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر أيضاً إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخراً بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين» (مسدي،

1. Michel. Bréal

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

١٩٨١: ٢٦). إن هذا ليس زعماً منشأه الرجم بالغيب بل أشاد كثير من الباحثين المنصفين بما وصل إليه الدرس اللغوي عندالعلماء المسلمين.

إن علم الدلالة علم قديم حتى و إن بدا أنه حديث. فما من أمة من الأمم إلا و بحثت في ألفاظ لغتها محاولة تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفرداً، و بيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في تركيب (سعران، ١٩٩٧: ٢٦١). هو علم قديم باعتبار أن البحث في المعنى من حيث الوضوح و الغموض و الصحة و عدمها و الإحتمال و الفساد و ما تتعرض له دلالة الألفاظ من تحول في المعنى إلى معنى آخر و أسباب هذا التحول و مظاهره مُشاهَد و ملاحَظ في أقدم ما وصل إلينا من تراث الأمم. ثم هو علم مستحدث باعتبار أن«علم اللسانيات الحديث» طوّر نظرياته، و وضع أصوله، و وضح معالمه، و بيّن صلته بالعلوم الأخرى. فغدا علماً قائماً بذاته له مناهجه و نظرياته، بعد أن كان ضمن العلوم الأخرى كالفلسفة و المنطق و علم النفس.

و العرب مثلهم في هذا مثل الأمم الأخرى، جاءت مباحث الدلالة عندهم موزعة في مختلف علومها و تراثها، حيث كان المعنى هو الوجهة و الأساس الذي إليه يقصدون و به يعنون. لذا لا نعدم أن نرى أسساً و أصولاً تشبه و تضارع ما توصل إليه علم الدلالة بمفهومه الحديث، و هي منتشرة هنا و هناك في التراث العربي. و لقد كان عبد السلام مسدى محقاً حين قرر أن للعرب نظرية لغوية فقال: «إن التفكير العربي قد أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية» (مسدي، ١٩٨١: ٢٤). و على الرغم من إنكار بعض الدارسين لذلك، عندما نعتوا الحضارة العربية بقولهم «لم تفرز في مجال اللغويات سوى علم تقني منطلقه و غايته نظام اللغة العربية في حد ذاتها لا غير».(المصدر السابق) و هذا مخالف لما نجده من أصول و غايات تشبه ما توصل إليه المحدثون.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان تناول علماء العربية و المعارف الإسلامية للمعنى، و كيفية اهتمامهم به في مختلف صوره، من خلال الإستقراء التاريخي لآرائهم، موضحة هذه الجهود التي لا تقل أهمية عما نجده عند علماء الدلالة في صورته المعاصرة. فقد كان الإهتمام بالمعنى و مسائله مبثوثاً في شتى ميادين المعرفة التي خلفها القدماء، الأمر الذي يصعب الإلمام و الإحاطة به، مما جعلنا نكتفي بالرجوع إلى مصادر متعددة في أصولها العربية قديماً و حديثاً. هذه المصادر كانت نعم المعين في استجلاء الحقيقة و بيان الفكرة.

لقد استقطبت البحوث المتعلقة باللسانيات و خاصة علم الدلالة اهتمام الباحثين و طلاب اللغة العربية في إيران طوال السنوات الأخيرة و قد كتبت مقالات و اطروحات في الموضوعات المتعلقة بالمعنى في الجامعات الإيرانية. لكن حتى الآن لم تكتب مقالة أو رسالة في إيران حول موضوع الأبحاث الدلالية في الفكر العربي و الإسلامي التراثي. و لكن يمكننا أن نعثر على كتب في البلاد العربية في مجال هذا الموضوع منها: علم الدلالة العربي، النظرية و التطبيق لفايز الداية، أصول تراثية في علم اللغة لكريم زكي حسام الدين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث لعلي زوين، علم الدلالة أصوله و مناهجه في التراث العربي لعبد الجليل منقور و علم الدلالة عند العرب لعادل الفاخورى. لكن أولئك الباحثين لم يبيّنوا الجهود المبكرة لعلماء الاسلام و العرب من خلال الإستقراء التاريخي لآرائهم المتنوعة في الموضوع، و لم يشيروا في كتبهم إلى العلماء الذين تناولتهم هذه المقالة.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

٢- الدلالة لغةً و اصطلاحاً

٢- ١- الدلالة لغةً: للفعل (دلَّ) الثلاثي صور صرفية متعددة بفتح حرف (الدال). دلَّهُ على الطريقِ يَدُلُّهُ بالضم (دِلالة) بفتح الدال و كسرها و (دُلولةً) بالضم، و الفتح أعلى (فيروزآبادي، ١٩٨٣: ٣٧٧/٣، رازي، ١٩٨٣: ٢٠٩). و تدلَّلَت المرأةُ على زوجِها، و دَلَّت تَدِلُّ، و هي حسنة الدلِّ و الدَّلال و ذلك أن تريه جرأة عليه في تغنُّج و تشكُّل (زمخشري، ١٩٨٦: ٢٨٠/١). و دلَّلَت بهذا الطريق عرفته، و دلَلتُ به أَدُلُّ دلالةً. و قال ابن دُريد الدَّلالة، بالفتح حرفة الدَّلاّل و هو الذي يجمع بين البَيعَين (ابن منظور، ١٩٨٨: ٢٤٨/١١) و الدلّ: حالة السكينة و حسن السيرة و هذا قريب المعنى من الهَدي، الدَّلال: الوقار. و الدليل مفرد الجمع منه أَدِلَّة و أدلاء، و الدلالة جمعها دلائل: ما يقوم به الإرشاد أو البرهان أو المُرشِد (فيروزآبادي، ١٩٨٣: ٣٧٧/٣) و دَلَّ دَلَلاً الرجل: تغنَّجَ و تلوّى، و أَدَلَّ إدلالاً عليه اجترأ عليه. و الدالَّة مؤنث الدّال: ما تَدُلُّ بِهِ على صديقِك (المصدر السابق: ٣٨٨/٣). و بنظرة سريعة في المعجمات اللغوية لمعاني هذه المفردة تجدها قد قصرت اهتمامها على الدلالة المادية المتصلة بمفهوم الدليل.

٢- ٢- الدلالة اصطلاحاً: يقصد بها الكيفية التي يتم فيها استعمال المفردات ضمن سياق لغوي معين، و بيان علاقاتها بالعملية الذهنية (زوين، ١٩٨٦: ٨٨) لأن الألفاظ لا تدل على الأمور الخارجية بل على الأمور الذهنية، يدل على ذلك:

أولاً / أن الشكل المرئي عن بُعد تختلف أسماؤه لاختلاف تخيله. أي تختلف الألفاظ باختلاف التخيل.

ثانياً / أن الشكل المعين يثبته واحد و ينفيه آخر و لو كان اللفظ كما في الخارج للزم اجتماع النقيضين.

ثالثاً / إن اللفظ دليل على المعنى.

رابعاً / أن دلالة «خرج زيد» في الصدق و الكذب واحدة، و لو أفادت الثبوت الخارجي لاختلفت الدلالة، و إنما أفاد الحكم بالوجود، و لذلك اتحدت دلالته فيهما (زملكاني، ١٣٩٤ ق: ٨٠).

و الدلالة إما أن تكون وضعية أو عقلية، فالوضعية كدلالات الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها كدلالة السماء و الأرض و الجبال على مسمياتها و لا شك في كونها وصفية و إلاّ لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع (رازي، ١٩٨٥: ٣٩).

و أما العقلية فإما على ما يكون داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء من مفهوم البيت، و لا شك في كونها عقلية و ذلك لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة و لا يكون متناولاً لأجزائها. و إما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط (المصدر السابق: ٣٩-٤٠). و قد أدرك الجاحظ أن الألفاظ لا تبقى محتفظة بمعانيها الأولى، بل تنتقل إلى غيرها و تكتسب صوراً جديدة لم تكن معروفة من قبل (مطلوب، ١٩٨٣: ٤٥). و عرف بأن اللغة تتطور دلالياً بتطور الحياة (المصدر نفسه:٤٦).

وهناك تقسيمات أخرى للدلالة (راجع: داية، ١٩٩٦: ٢٠-٢٢، زوين،١٩٨٦: ١١٥-١١٦) يمكن آن نمثلها كالآتي:

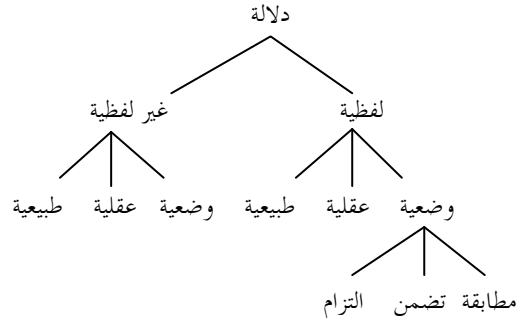

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

٣- تعريف علم الدلالة و موضوعه

٣- ١- تعريفه: علـم الــدلالة (بفتح الدال و بكسرها) semantics أو علم المعنى هو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى(مختار عمر، ١٩٢٨: ١١، عمران، ٢٠٠٧: ٩). و يدخل فيه كل رمز يؤدي معنى سواء أكان الرمز لغوياً أو غير لغوي (مثل الحركات، الإشارات، الهيئات، الصور، الألوان، الأصوات غير اللغوية و غير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الإجتماعي) (عكاشة، ٢٠٠٥: ٩).

٣- ٢. موضوعه: لقد اختلف العلماء في موضوع هذا العلم؛ فمنهم من جعله خاصاً بدراسة معاني الكلمات المفردة، و هذه - كما يقول المدققون — نظرة ضيقة قنعت بالأمور السطحية و لم تأت بجديد في هذا الشأن أكثر من تقديم تسمية جديدة لدراسة قديمة معروفة، و هي صناعة المعجمات و ما يرتبط بها من تصنيف كلمات اللغة و إعطائها معانيها العامة (بشر، ١٩٦٩: ١٥٣).

و منهم من جعله يشمل جانبين: جانب اللفظة المفردة، و جانب دراسة المعنى و مشكلاته على مستوى التراكيب؛ أي أن موضوع علم الدلالة عند هؤلاء له فرعان: الدلالة المعجمية[1]، و الدلالة النحوية[2] و الفرع الثاني يلتقى في كثير من جوانبه مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (انظر: زكى حسام الدين، ١٩٩٣: ٢٦٦، بشر، ١٩٦٩: ١٥٣). و فرق ثالث خصص الدلالة «لدراسة المعنى على مستوى اللفظة و العبارة كليهما، و ذلك في أطار اجتماعي معين، و من زاوية معينة، هي زاوية الإستعمال في البيئة الخاصة» (بشر، ١٩٦٩: ١٥٣) أي أن دراسة اللفظة أو العبارة تتم من خلال مسرحها اللغوي.

٤- علم الدلالة: نظرة تاريخية موجزة

٤- ١. عند اليونان: لم تنتظر الأمم نهاية القرن التاسع عشر لتدرس الدلالة و توليها اهتمامها، بل شغلت ذهن المفكرين على مرّ التاريخ، فقد بحث جوانبها المختلفة الفلاسفة و المناطقة و اللغويون و غيرهم. و يعدّ فلاسفة اليونان من الذين لفت الدلالة نظرهم إذ «راحوا يتساءلون عن أسرارها، و يعجبون لتلك المجموعات الصوتية التي ينطق بها المرء، فتعبّر عمّا يدور في خلده، و تحقّق له غرضاً دنيوياً نافعاً، بل و تصله ببني جنسه صلة وثيقة تجعل منهم مجتمعاً إنسانياً متعاوناً متفاهماً» (أنيس، ١٩٧٢: ٦٢). و من القضايا الأساسية التي حظيت لديهم بقسط وافر من الاهتمام و الجدل و المناقشة نشأة اللغة التي عالجوا من خلالها العلاقة بين الكلمة و معناها، أي العلاقة بين الدال و المدلول أو الصوت و المعنى، و حاولوا معرفة هذه العلاقة طبيعية كانت أو اصطلاحاً. كما حدّدوا أقسام الكلام، و بنى أرسطو أنواعه على أساس دلالي، و رأى أنّ الإسم له دلالة مجرّدة عن الزمن، على حين أنّ الفعل له دلالة على الحدث و الزمن، أمّا الحرف فليس له في نفسه أي معنى(قدور، ١٩٩٦: ٨٢). و ميّز أيضاً بين ثلاث قضايا هي:

١- الأشياء في العالم الخارجي.
٢- التصورات أو المعاني.
٣- الأصوات أو الرموز أو الكلمات.

و فتح ذلك الباب الكثير من الأفكار و المناقشات حول الدلالة و المعنى في العصور الوسطى، كما تعرض أفلاطون إلى قضية العلاقة بين اللفظ و المعنى و اتجه إلى أن العلاقة بينهما طبيعية ذاتية. بينما اتجه أرسطو إلى أن هذه العلاقة اصطلاحية عرفية، أي متواضع عليها و قام بشرح هذه

1. Lexical Semantics
2. Syntactic Semantics

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

العلاقة العرفية و بيانها (مختار عمر، ١٩٢٨: ١٧، عمران، ٢٠٠٧: ١٠-١١).

٤- ٢. عند الهنود: اهتم الهنود بالتأمل في لغتهم و قاموا بدراستها بدافع ديني للحفاظ على كتابهم المقدس (الفيدا) و هذا ما يشبه ما كان من أمر العرب عندما درسوا لغتهم. وكان (بانيني) الذي عاش في القرن الخامس و الرابع قبل الميلاد قد وضع كتاباً في السنسكريتية سماه (المثمن) قيل أنه أشبه بكتاب سيبويه.

عالج الهنود كثيراً من المسائل الدلالية، و خاصة بانيني[1] حين وضع القواعد النحوية و الصوتية و الصرفية و الدلالية لكتابهم المقدس "الفيدا"، و تعرّضوا للفظ و المعنى و أنواع الدلالات للكلمة، و أهمية السياق في إيضاح المعنى، و الترادف، و المشترك اللفظي، و القياس و دور المجاز في تغيير المعنى (مختار عمر، ١٩٢٨: ١٨-٢٠).

٤- ٣. عند العرب: قام العرب بدراسة لغتهم لسبب أساسي ديني ،يتمثل في المحافظة على لغة القرآن لصحة تلاوته و استخلاص الأحكام و التشريعات منه. و كان للخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة الآيات بشكل غير صحيح أكبر الأثر في النهوض بهذه الدراسة، لذلك كانت أوائل الأعمال اللغوية المتعلقة بالدلالة بشكل خاص ذات صلة بالقرآن الكريم مثل: معاني الغريب في القرآن الكريم و مجاز القرآن، بالإضافة إلى معاجم الموضوعات (المعاني). و معنى ذلك ضبط المصحف الشريف.

و قد تجلت أهم الأعمال الدلالية للدراسين العرب بما يلي:

- عمل ابن فارس في معجمه (المقاييس) بربط المعاني الجزئية بالمعنى العام.

- عمل الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) للتفريق بين المعاني الحقيقية و المجازية.

- أعمال ابن جني في ربط تقلبات المادة (اللفظة) بمعنى واحد.

هذا بالإضافة إلى أعمال لغوية أخرى ذات صلة بعلم الدلالة. و لابد من الإشارة هنا إلى ما قام به الأصوليون و علماء الكلام، و ما ذكروه من: دلالة اللفظ و دلالة المنطوق و دلالة المفهوم. بالإضافة إلى أعمال البلاغيين في دراسة الحقيقة و المجاز، و نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

٤- ٤. عند المحدثين: إن هذه الجهود اللغوية في التراث العربي و تلك الأبحاث التي اضطلع بها اللغويون القدامى من الهنود و اليونان و اللاتين و علماء العصر الوسيط فتحت كلها منافذ كبيرة للدرس اللغوي الحديث، و أرست قواعد هامة في البحث اللساني و الدلالي، استفاد منها علماء اللغة المحدثون، بحيث سعوا إلى تشكيل هذا التراكم اللغوي المعرفي في نمط علمي يستند إلى مناهج و أصول و معايير. و لم تزل الدراسات الدلالية في العصر الحديث تتسع و تستقل في مؤلفات خاصة بالإضافة إلى ما تأخذه من مساحات ضمن إطار الدراسات اللغوية و علم اللغة الذي استوى و تطور في الفترة الأخيرة و كان هناك عدد من الباحثين العرب الذين اهتموا بالسيمياء مثل الدكتور أحمد مختار عمر، و في الدراسات اللغوية الغربية دعا تشومسكي في البداية إلى ضرورة فصل النحو عن المعنى إلا أنّه عدل عن موقفه بتأثير عدد من اللسانيين الذين أدخلوا المكون الدلالي في التحليل. و نذكر على سبيل المثال (ستيفن أولمن)[2] الذي أصدر عدداً من الكتب حول دراسة المعنى، منها: أسس علم المعنى، و دور الكلمة في

1. Panini

2. s.ullmann

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

اللغة. و في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة ردّ عدد من اللغويين مثل كاتز[1] و فودور[2] الإعتبار إلى المعنى و أدرجا المكون الدلالي في التحليل بعد أن كان قد استبعد هذا المكون الذي يقوم بإعطاء تفسيرات دلالية للبنية العميقة. و تشومسكي[3] الذي عرف بنظرية النحو التوليدي التحويلي، و الذي طوّر نظريته فظهرت في كتابه (البنى التركيبية) و عندما أخرج كتابه (مظاهر النظرية التركيبية) كان يدعو إلى فصل النحو عن المعنى و لكنه عدل عن موقعه ربما بتأثير أولئك اللسانيين، فأدرج القواعد الدلالية في نموذجه المعياري عند الغربيين و كان على رأس من أسهم في وضع أسس هذه الدراسات ماكس مولر[4] و ميشال بريال اللغوي الفرنسي الذي وضع بحثا بعنوان مقالة في السيمانتيك (essai de sémantique) عام ۱۸۷۹، و قد اهتمت هذه المقالة بدلالة الألفاظ القديمة في اللغات الهندوأوربية. و ربما كان من أبرز الأعمال في هذا السياق المؤلف الضخم بعنوان (لغتنا) للعالم السويدي أدولف نورين[5] الذي خصص قسما كبيرا لدراسة المعنى مستخدما مصطلح (somology). حيث قسم دراسة المعنى إلى قسمين :

۱- الدراسة الوظيفية.

۲- الدراسة الإيتمولوجية التي تعالج تطور المعنى التاريخي.

و قد تطورت الدراسة الدلالية حديثاً، عند الأوربيين و ظهرت أسماء مهمة مثل : أوجدن[6] و ريتشارد[7] اللذين أخرجا مؤلفهما الشهير الذي عنوانه (the meaninig of meaning) أي معنى المعنى عام ۱۹۲۳ حيث وضعا نظرية للعلامات و الرموز. و في الدراسات الأمريكية يمكن أن نذكر أسماء مثل: بلومفيلد[8] الذي يقال إنه و أتباعه أرادوا إخراج دراسة المعنى من مستويات الدراسة اللغوية، و أن دراسة (السيمانتيك) ـــ في رأيهم ـــ تقع خارج المجال الواقعي للغة، أو هي على الأقل أضعف نقطة في الدراسة اللغوية، مما أدى إلى إهمال المعنى. و إن كانت تفسيرات أقوال بلومفيلد لا تعبر بدقة عما أراد. و ربما لم يَرد الإعتبار لدراسة المعنى (الدلالة) في أمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين و خاصة في الإتجاه التوليدي عند تشومسكي. و من المؤلفين العرب الذين اهتموا بعلم الدلالة في العصر الحديث الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ) حيث عالج في هذا الكتاب عدة قضايا منها ارتباط الألفاظ بمدلولاتها، أقسام الدلالة، العلاقة بين اللفظ و المعنى، اكتساب الدلالة عند الطفل و الكبار و التطور الدلالي. (انظر: مختار عمر، ۱۹۲۸:۲۲-۳۰، أنيس، ۱۹۷۲: ۷-۱۲، سعران، ۱۹۹۷: ۲۹۱ -۳۰۰، عمران، ۲۰۰۷: ۱٦-۱۸).

٥- مظاهر من دراسة المعنى في التراث العربي و الإسلامي

يمكن القول أنّ العناية بالدلالة في الفكر اللغوي العربي القديم حقيقة ثابتة، و الجهود في ذلك كبيرة و عميقة لا مجال لإنكارها، و فضل سبق علمائها راسخ، بل إنَّهم أوّل من وضع أسس علم الدلالة الذي يعدّ أصيلاً في التراث العربي و الإسلامي، و أثرى بسعته و عمقه و دقته علم الدلالة الحديث إثراءً كبيراً، و قد أسّس من خلاله الدارسون أصول هذا العلم، على الرّغم من أنّنا لا نعثر على مصدر مستقل خاص يحمل عنوان "علم الدلالة"، و

1. Katz
2. Fodor
3. Noam Chomsky
4. Max Muller
5. Adolf Noreen
6. C.K.Ogden
7. I.A.Richards
8. Leonard Bloomfield

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

لكن الأعمال المبكرة تشهد عليه، و إن كانت السمة الرئيسية للبحث الدلالي هي التشعب و عدم الإنتظام في نسق معرفي واحد، كونها متناثرة في أكثر من مصدر، و مبثوثة في أكثر من مجال معرفي محدّد. و المتمعن في التراث اللغوي العربي يلاحظ أنّ البحث الدلالي لم يقتصر على اللغويين فحسب، بل تعدّى ذلك إلى الفقهاء و أهل الشرع و علماء الكلام، و الفلاسفة و المناطقة و غيرهم من دارسي الإعجاز و البلاغة و النقد و الشرح الأدبي و الفني، و أغنوا مؤلفاتهم بالبحوث الدلالية التي لا يجهلها دارس العربية.

و أوّل ما أُلّف في العربية فيما يتعلق بالدلالة، هي تلك الرسائل التي جمع فيها رواة اللغة ألفاظاً ذات موضوعات دلالية شبيهة بالحقول الدلالية المعروفة في اللسانيات الحديثة، كرسائل الإبل و الخيل و الشجر و النبات و الأنواء، و ليس هذا العمل إلاّ تصنيفاً للغة، كان نضجاً مبكراً و بداية انتهت إلى التأليف المعجمي الشامل و صلته بالأصوات و الإشتقاق إلى المعاجم الكبرى التي رتبت على أساس معاني الألفاظ مثل «الألفاظ الكتابية» للهمذاني (ت ٣٩٨هـ)، و «متخيّر الألفاظ»، و «مقاييس اللغة» لأحمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) و فقه اللغة و أسرار العربية" للثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، و «المخصّص» لابن سيدة (ت ٤٨٥هـ)، و معاجم الألفاظ كالصّحاح للجوهري (ت ٣٩٥هـ)، و "تهذيب اللغة" للأزهري (ت ٣٧٠هـ).

وقد لاحظ اللغويون من العرب القدامى اختلاف لهجات القبائل المؤدي إلى الاختلاف اللفظي و ما يتبعه من اختلاف معنوي، فممّن ألف في لغات القبائل هو يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، و أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، و الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، و قد ميّزوا الصحيح من الدخيل أو المعرّب، و كان ممن ألف فيه الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، و الخفاجي (١٠٦٩هـ)، حيث درسوا مسائل الترادف و الأضداد و المشترك، و ألفوا فيها كتباً، و عالجوا العلاقة بين الدال و المدلول، و الحقيقة و المجاز و المهمل و المستعمل و العام و الخاص (قدور، ١٩٩٦: ١٩٠). و كتبوا عن المجاز في القرآن و معاني الغريب فيه، و ألّفوا في الوجوه و النظائر في القرآن، و غير ذلك من الأمثلة التي تنتمي إلى المباحث الدلالية و تعتبر جميعها بدايات للتأليف المعجمي عند العرب.

و مقاربة لماهية الدلالة و حقولها الدراسية في التراث العربي و الإسلامي، نتطرق إلى البحث الدلالي عند لفيف من علماء الدلالة و ذلك بقصد رسم إطار بيّن تتضح من خلاله معالم الدرس الدلالي القديم و منهم:

٥- ١- الخليل بن أحمد الفراهيدي

لا شك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥ه) قد أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه الأصيل (العين) حين بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي، الحرفي، و من ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة، و أخرى مهملة لدى تقلب الحرف في التركيب لتشكل الألفاظ بداية و نهاية طرداً و عكساً، و من ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة و المهمل. و قد كان الخليل هو الرائد الأول لهذا الباب دون الخوض في التفصيلات المضنية للبحث الدلالي كما يفهم في لغة التحديث، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية، و لكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون عن قصد أو غير قصد، و هو إلى القصد أقرب و به ألصق لما تميز به الخليل من عبقرية و لما اتسمت به بحوثه من أصالة و ابتكار. و قد أفاد من ذلك سيبويه كثيراً كما يتضح من استقراء الكتّاب.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

٥- ٢- سيبويه

إن لفتة سيبويه (ت: ١٨٠هـــ) في باب الإستقامة من الكلام و الإحالة، يدعم فكرة اهتمام النحو العربي بالظواهر الدلالية، فهو يقول: «فمنه (الكلام) مستقيم حسن، و محال، و مستقيم كذب، و مستقيم قبيح، و ما هو محال كذب. فالمستقيم الحسن: هو الترتيب أو التعبير المألوف في اللغة نحو: "أتيتك أمس، سآتيك غداً". المحال: و هو المتناقض في الإستعمال أو نقض أوّل الكلام بآخره، نحو: أتيتك غداً، سآتيك أمس. المستقيم الكذب، و هو تركيب مستقيم من حيث النحو و غير ممكن الوقوع في نحو: حملت الجبل و شربت ماء البحر. المستقيم القبيح: و هو وضع اللفظ في غير موضعه على الرغم من استقامته نحو: و كي زيد يأتيك، و قد زيداً رأيت. المحال الكذب: و هو ما لا يتوافق مع الواقع، و الخروج عن منطق اللغة نحو: سوف أشرب ماء البحر أمس» (سيبويه، ١٩٩٨: ١/٢٥). إن استقامة الجملة في جميع عناصرها عند سيبويه لا تختلف عما يسمّيه المحدثون بأصولية الجملة و مقبوليتها في نظرية النحو التوليدي التحويلي الذي رائده نوام شومسكي، و عدم استقامة الجملة معناه أنّها صحيحة قواعدياً و نحوياً و لكنها غير صحيحة دلالياً.

٥- ٣- أبو عثمان الجاحظ

و هذا أبو عثمان الجاحظ (ت : ٢٥٥هـــ) أول من فتق أبواب البيان. فقد استعمل الجاحظ كلمة البيان بمعنى الإيصال الدلالي العام الذي يشتمل على الإيصال اللغوي و غيره. أو بتعبير دي سوسور الاشارات في مفهومها العام، و تعد اللغة جزءً منها. و هذا تنبه من الجاحظ لأحد المعايير الأساسية للمنهج الوصفي الحديث (زوين،١٩٨٦: ١٣٩). أبان الجاحظ عن مكامن اللغة العربية الجمالية، آخذاً في ذلك جمع الصور اللفظية و غير اللفظية التي تحتضن الفكر و تعبر عن الدلالات و المعاني المختلفة. كما عكف على الدراسة الصوتية للحرف و اللفظ لكون ذلك يفضي إلى استقامة البيان و حصول الإبلاغ، بحيث يراعي فيه حسن التأليف بين الحرف و الكلمة، و قد أشار الجاحظ في هذا المجال إلى تلك الأمراض النطقية التي تؤدي إلى اختلال في آلة التعبير خاصة في مخارج الأصوات و عدّ منها الكثير(انظر:جاحظ، ١٩٨٨: ١/٢٧). و قد أضحى ذلك في العصر الحديث فرعاً من اللسانيات و التمس له العلماء أسباباً فوجدوها عصبية نفسية تؤدي إلى اضطراب أساسي في بنى اللغة و أطلقوا على ذلك المبحث العصب السني[1]. تناول الجاحظ في كتابيه: «البيان و التبيين» و كتاب «الحيوان» مباحث لها ارتباط وثيق بموضوع الدلالة و علاقتها بطرق تأديتها، فقد قسم العلاقة إلى أصناف، كما وقف على وظائف الكلام، لأنه جوهر البيان و في إطاره تناول الدلالة السياقية، و اختيار المكان و المقام الملائمين لموقع اللفظ و المعنى، كما خاض الجاحظ في الجدل الذي دار حول نشأة اللغة، أتوفيقية هي أم اصطلاحية توفيقية؟...

و هو حينما يتحدث عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام و هي حالة بلاغية، إنما يتحدث عما يحدثه معنى اللفظ عند السامع من فهم لايتعدى فيه المتكلم حدود دلالة الألفاظ على المعاني لدى المتلقي فيقول: «ينبغي للمتلكم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» (المصدر السابق: ١/٨١) و هو بهذا يريد أن يتحدث عن الدلالة في ابعادها المخصصة لها فلا تتعدى حدودها و لا تتجاوز مفهومها، و إن ربط بينها و بين عقلية المتلقي في

1. Neurolinguistique

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون، أو مطابقة الكلام لمناسبة المقام. فالمعاني إذن تصنف و ترتب بحسب أصناف الناس في المجتمع و تباين مقاماتهم و أحوالهم. و تلك رؤية علمية في غاية الدِّقة لطبيعة و جوهر العملية البلاغية التي تراعى فيها الشروط الموضوعية (الخارجية) و الشروط الذاتية التي يتصف بها الخطاب و صاحبه و هو ما تنادي به بعض المدارس اللسانية الحديثة التي تدعو إلى ضرورة الإحاطة بوضع المتلقي النفسي و الإجتماعي حتى لا يقع المعنى في انسداد دلالي. و تلك إشارة إلى وجوب التوفيق عند المتكلم بين خطابه و مقام المستمع (المتلقي)، و يعني ذلك أن المتكلم كان قد قام بمطابقات تركيبية تشمل المطابقة النحوية (التأليف على سمت كلام العرب)، و المطابقة البلاغية (معرفية الفصل من الوصل) فضلاً عن المطابقة بين اللفظ و المعنى و حسن موقع الكلمة من السياق، و هو ما تشير إليه نظرية الوقوع أو الرصف[1]، و هو الإرتباط الإعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة. ثم إن عرض الجاحظ لموضوع التنافر الحادث بين الكلمات يقدم التقدير الكافي لمنع الوقوع أو الرصف في بعض السياقات، و قد أكدت دراسات دلالية تالية في النظرية السياقية، أن الجملة لا تعتبر كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو، و راعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة و تقبل أبناء اللغة لها، بحيث يعطونها تفسيراً ملائماً و هو ما سمي باسم التقبلية[2] (عبد الجليل، ٢٠٠١: ١٢٩).

من أوائل القضايا المرتبطة بدراسة المعنى عند النقاد اختلافهم في المفاضلة بين اللفظ و المعنى. حيث ذهبوا في هذه المسألة إلى مذهبين، أحدهما آثر اللفظ على المعنى و الآخر آثر المعنى على اللفظ. و كانت الغلبة لأصحاب اللفظ. و قد سبق الجاحظ النقاد في بيان هذه المفاضلة و كان يذهب -في الغالب – إلى تفضيل اللفظ على المعنى. لأن المعاني – في رأيه- غير متناهية و الألفاظ متناهية، لذلك اختلف حكمهما. قال: «إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، و ممتدة إلى غير نهاية، و أسماء المعاني مقصورة معدودة، و محصلة محدودة»(جاحظ، ١٩٨٨: ٨١/١).

بحث الجاحظ فيما يمكن أن نسميه(بالدلالة العامة) أو (الاشارات و الرموز). و نقصد بها دلالة الأشياء على الماهيات و الأفكار بطرق مختلفة، من ضمنها الطرق اللغوية بالمعنى التقليدي لهذه العبارة. و يؤلف علم الإشارات[3] جزءً مهماً من الدراسات الدلالية الحديثة. لعل الجاحظ أول من تنبه إلى أهمية العلامة و الإشارة في إيصال المعنى، و أن الدلالة لا تقتصر فقط على اللفظ و اللغة بمعناها المدرسي التقليدي. لذلك قسم أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غيره إلى خمسة أقسام: اللفظ- الإشارة – العقد- الخط- النصبة. يعنى باللفظ: الكلام المنطوق، و بالإشارة: الحركة باليد أو بالعين و نحوهما مما يدل على معنى، و بالعقد: ضرباً من الحساب يكون بإصابع اليدين، و بالخط: الكلام المكتوب.(زوين، ١٩٨٦: ١٤٢-١٤٣). نلاحظ هنا تفريقاً واضحاً بين الكلام و الخط أو بين الكلام و اللغة في مفهوم دي سوسير و المدرسة الوصفية التركيبية.

لقد أوضح الجاحظ أيضاً وظائف الكلام في معرض حديثه عن البيان.يقول: «لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه و لا حاجة أخيه و خليطه و لا معنى شريكه المعاون له على أموره و على ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، و إنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها و إخبارهم عنها و استعمالهم إياها»(جاحظ، ١٩٨٨: ٨١/١). و ذلك أن المعاني كامنة

1. Collocational Theory
2. Acceptability
3. sign and signal

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

مستترة لا يمكن أن يعلمها (الآخر) إلا إذا تمظهرت في أنماط مقولية بها يطلّع على ما في ضمير مخاطبه، و لا ينعقد الإتصال الإعلامي بينهما حتى يفصح أحدهما عما في نفسه من الحاجات للآخر، فكأن تلك المعاني كانت ميتة فأحييت بالذكر و الإخبار و الإستعمال، و هذا ما يكاد (جاكبسون)[١] يعنيه من الوظيفتين المرجعية[٢] و التعبيرية أو الإنفعالية[٣] إذ الأولى تعني التخاطب بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين و تبادل الآراء معهم، أما الثانية فهي تتمحور حول إبراز موقف المتكلم – خاصة – من مختلف القضايا حول موضوع حديثه (زكريا، ١٩٨٣: ٥٤).

٥-٤- أبو الفتح، عثمان بن جني

و أبو الفتح، عثمان بن جني (ت: ٣٩٢ هـ) يعود بدلالة الألفاظ عند اختراعها و ابتكارها و موضعتها إلى أصول حسية باديء ذي بدء، يقول: «و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، و حنين الرعد، و خرير الماء، و شحيج الحمار، و نعيق الغراب، و صهيل الفرس، ونزيب الظبي، و نحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. و هذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل» (ابن جني، ١٩٥٥: ٤٦/١). و أوضح ابن جني في باب سماه «إمساس الألفاظ أشباه المعاني» أنّ بين الأصوات و ما تعبّر عنه مناسبة دلالية. حيث قال: «قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة و مدّاً، فقالوا: صرّ، و توهّموا في صوت البازي تقطيعاً، فقالوا :صرصر» (المصدر السابق: ١٥٢/٢). إذ التأليف الصوري للفظ يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يقابله و إن كان من الصعب تطبيق ذلك كل عناصر النظام اللغوي إلا أن ذلك يبقى طرحاً جريئاً من قبل ابن جني له قيمته العلمية و سبقه المعرفي في عصره، و هي محاولات كانت تنتظر من يعطيها طابع النظرية الشاملة بعد ابن جني، و لكن وجد أتباع لم يكملوا ما بدأه أبو الفتح ابن جني و إنما انتحلوا بحوثه و نسبوها إلى أنفسهم كابن سيده صاحب كتاب «المحكم» المتوفى سنة ٤٥٨هـ (عبد الجليل، ٢٠٠١: ١٣١) .

و في المجال نفسه نجده يتلمس المناسبة بين كلمتي المسك و الصوار (ابن جني، ١٩٥٥: ٥٠٧/١) و يستمر في المنظور التطبيقي لدلالة الألفاظ فيستنبط العلاقة الدلالية لمادة (جبر) بكل تفريعاتها المتناثرة كالجبر و الجبروت و المجرب، و الجراب. فيجد في قوتها و صلابتها و قسوتها و شدتها معنىً عاماً مشتركاً بين مفرداتها تجمعه القوة و الصلابة و التماسك (المصدر السابق: ٥٢٥/١). و لا يكتفي بذلك حتى يعقد في كتابه المذكور فصلاً بعنوان (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و باباً آخر لمناسبة الألفاظ للمعاني، و قال عنه «فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، و نهج متلئب عند عارفيه مأموم، و ذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فيعدلونها بها، و يحتذونها عليها، و ذلك أكثر مما نقدّره، و أضعاف ما نستشعره، و من ذلك قولهم خضم و قضم، فالخضم لأكل الرطب ... و القضم لأكل اليابس» (المصدر نفسه: ٦٥/١). و رأى أنَّ معاني الأصوات القويّة تنتظم للتعبير عما يناسبها من دلالات، و الأصوات الضعيفة لما يتفق معها» من ذلك قولهم: «الوسيلة» و «الوصيلة»، و الصاد –كما ترى– أقوى صوتاً من السين، لما فيها من استعلاء، و الوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، و ذلك أنَّ التوسل

1. R.Jackobson.
2. Referentielle
3. Emotive

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

ليست عصمة الوصل و الصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء، و مماسته له، و كونه في أكثر الأحوال بعضاً له كاتصال الأعضاء بالإنسان، و هي أبعاضه، و نحو ذلك، و التوسل معنى يضعف و يصغر أن يكون المتوسل جزءً كالجزء من المتوسل إليه، و هذا واضح، فجعلوا الصاد لقوّتها، للمعنى الأقوى و السين لضعفها للمعنى الأضعف" (المصدر نفسه: ١٦٠/٢).

و تفطن ابن جني إلى أثر الصيغة في توليد الدّلالة، و وضع قاعدة لذلك مفادها أنّ الزيادة في المبنى تلحقها بالضرورة زيادة في المعنى، و من ذلك قولهم: خَشِن، اخْشَوْشَنَ، فمعنى خشن دون معنى اخْشَوْشَنَ لما فيه من تكرير العين، و زيادة الواو، و كذلك قولهم أعشب المكان إذا نبت فيه العشب، أما إذا كثر فيه العشب فقد قالوا اعشوشب، و صيغة افعوعل تفيد المبالغة (المصدر نفسه: ١٥٦/٢). و اكتشف أنّ التكرار الواقع في الفعل يعود إلى تكرار معناه مثل قطّع، و كسّر، و فتّح، و غلّق، كما أنّ المصادر التي تأتي على وزن فَعَلان تدل على الاضطراب و الحركة مثل الغَلَيَان و الغَثَيَان (المصدر نفسه: ١٥٢/٢). و ما اشتهر به صاحب الخصائص هو إبراز لظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ، و هو ما سماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» و سجل فيه أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلالياً لتقاربهما فنولوجياً و تلك خاصية من خصائص اللغة العربية. و هذه الملاحظة تنم عن دقة و عمق رؤية ابن جني لنظام اللغة ففي شرحه للفظ «أزاً» الوارد ذكره في قوله تعالى: «ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً» (مريم/٨٣) يقول ابن جني في قوله تعالى: «تأزهم أزاً»: أي تزعجهم و تقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً و الهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، و كأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، و هذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع و ساق الشجرة، و نحو ذلك (ابن جني، ١٩٥٥: ١٤٦/٢).

٥- ٥- أحمد بن فارس

أما أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) فيعد بحق صاحب نظرية في دلالة الألفاظ، فكتابه مقاييس اللغة يعنى بالكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ و المعاني في أكثر من وجه، و يشير إلى تقلبات الجذور في الدلالة على المعاني، و يستوحي الوجوه المشتركة في معاني جملة من الألفاظ. و كتابه : «الصّاحبي في فقه اللغة» ينطلق إلى الدلالة معه فيشير إلى مرجعها، و يحددها في ثلاثة محاور هي: المعنى، و التفسير، و التأويل. و هي و إن اختلفت فإن المقاصد منها متقاربة (ابن فارس، ١٩٦٤: ١٩٣) و يشير بأصالة إلى دلالة المعاني في الأسماء باعتبارها سمات و علامات دالة على المسميات، (المصدر السابق: ٨٨) و يتابع ابن فارس بتمرس عملية تنوّع الدلالات و أقسامها بالشكل الذي حدده المناطقة فيما بعد و تسالموا عليه (المصدر نفسه: ٩٨). و الجدير بالذكر أن ابن فارس يبحث بكل يسر و بساطة دلالة تسمية الشيء الواحد بالأسماء المختلفة كالسيف و المهند و الحسام و ما يليها من الألقاب، و يقرر مذهبه: أن معنى كل صفة من هذه الصفات غير معنى الأخرى، و كذلك الحال بالنسبة للأفعال فيما يتوهّم من دلالتها على مدلول واحد و هو مختلف عنده نحو: مضى، ذهب، انطلق، قعد، جلس و كذلك القول فيما سواه، و بهذا نقول: و من سنن العرب في المتضادين باسم واحد أن يقولوا: الجون للأسود و الجون للأبيض ... ثم يعقب ذلك بدلالة الإسم الواحد للأشياء المختلفة، و يعقد له باباً باسم (أجناس

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

الكلام في الإتفاق و الإفتراق)، و يضرب أمثلة لكل ذلك، و يخرج عن هذا بالأسماء المختلفة للشيء الواحد (المصدر نفسه: ٢٠١).

٥- ٦- ابن سينا

و أما ابن سينا (٣٧٣-٤٢٧ هـــ) فقد شرح العملية الدلالية اللغوية على نحو يثير الفضول العلمي المعاصر؛ ذلك أنه وقف على دقائق الأبعاد النفسية اعتماداً على درايته بعلم النفس، و براعته في التحليل العقلي المقترن بالنزعة التشريحية، فقد كان فيلسوف و طبيب في آن معاً. (داية، ١٩٩٦: ١٣) فهو يكثر من ذكر الوجود الذهني للعلامات اللغوية و ارتسامها في النفس و الخيال في رصده لمراحل العملية الدلالية، حيث يتم نقل المفاهيم المودعة في الذهن لمدلولات في العالم الخارجي إلى أدوات دالة كالألفاظ و الكتابة، و بما أنّ اللفظ اللغوي يعدّ أساس العملية الدلالية أقام له ابن سينا تقسيماً بحسب الإفراد و التركيب و التأليف، و بحسب الكلي و الجزئي، ثم أبان عن اللفظ الخاص و اللفظ المشترك و الجامع بين الصفتين، أما الدلالة فقد صنفها ابن سينا إلى أصناف لم تخرج عن تلك التي كانت متداولة بين معاصريه من العلماء و من سبقه من الفلاسفة كالفارابي(عبد الجليل: ٢٠٠١: ١٣٩) .

تناول ابن سينا تعيين العلاقة بين اللفظ و المعنى، من جوانب ثلاثة: دلالة المطابقة و دلالة التضمن و دلالة الإلتزام، فإذا كان الإنتقال بواسطة العقل من الدال إلى مدلوله، لعلمه بعلاقة الوضع و أنّه كلّما تحقق مسموع اسم ارتسم في الخيال مدلوله، فإن الدلالة عندئذ دلالة وضعية تمنع من وقوع الإلتباس بين الدلالات الثلاث، لأنّه قد يطلق اللفظ و لا يعنى به مدلوله المطابق له كما إذا أطلقنا لفظ "الشمس" و عنينا به "الجرم" كانت الدلالة بينهما مطابقة و إذا عنينا به "الضوء" كانت العلاقة بينهما تضمن". و لكن بتدخل الوضع و توسط العرف الأصلي يمتنع انتقاض الدلالات بعضها ببعض. و يورد ابن سينا أمثلة يوضح فيها كل قسم من أقسام الدلالة الثلاث فدلالة المطابقة هي التطابق الحاصل بين اللفظ و ما يدل عليه كالإنسان فإنه يدل على الحيوان الناطق، أمّا دلالة التضمن فهو ما يتضمنه اللفظ من معان جزئية تدخل في ماهيته كقولهم الإنسان، فإنه يتضمن الحيوان. أما دلالة الالتزام فهي تحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصلة بين الدال و لازمه، فقولنا الأب يلتزم الإبن يقول ابن سينا معرفاً ذلك: أصناف دلالة اللفظ على المعنى ثلاثة: دلالة المطابقة و دلالة التضمن و دلالة الإلتزام. و هي دلالات تجمع الأنساق كلّها. و يشرح علاقة الالتزام فيقول: و دلالة الإلتزام مثل دلالة المخلوق على الخلق، و الأب على الإبن، و السقف على الحائط، و الإنسان على الضاحك، و ذلك أن يدل أولاً دلالة المطابقة على المعنى الذي يدّل عليه أولاً، و يصحب ذلك المعنى معنى آخر، فينتقل الذهن أيضاً إلى ذلك المعنى الثاني الذي يوافق المعنى الأول و يصحبه. و تشترك دلالة المطابقة و دلالة التضمن في أن كل منهما ليس دلالة على أمر خارج عن الآخر. و ينصّ ابن سينا هاهنا على أمر مهم يخصّ العلاقة بين دلالة المطابقة و دلالة الإلتزام إذ الوصول إلى دلالة اللفظ على معناه بطريق الإلتزام يمرّ عبر إجراء دلالة المطابقة بين اللفظ و ما يطابقه من مدلولات بتوسط الذهن الذي ينجز هاتين المرحلتين (بشكل سريع جداً)، فدلالة الأب على الإبن دلالة التزام و لكن هذه الدلالة لم تنعقد حتى وجد العقل أن بين الأب و مدلوله (أنه والد له أبناء) علاقة مطابقة، ثمّ تختلف دلالة الإلتزام عن دلالتي التضمن و المطابقة في أنها تستدعي مدلولاً خارجاً عن اللفظ، أما دلالتا التضمن و المطابقة فإنهما تستدعيان مدلولهما من لفظيهما. لأن دلالة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

اللفظ على كل أجزائه هي دلالة مطابقة، أما علاقته بجزء من هذه الأجزاء فهي علاقة تضمن، و لذلك نجد ابن سينا لا يقيد في حصره للعلاقة القائمة نظرياً بين اللفظ و المعنى، فيقول في ذلك: و لأن بين اللفظ و المعنى علاقة ما. ثم لتعيين العلاقة بين الدال و المدلول يستدعي إدراك العلاقة بين المدلول و الشيء الخارجي و ذلك ما أشارت إليه المباحث اللسانية الحديثة التي أكدت أنْ لا علاقة مباشرة بين الدال و المدلول و إنما العلاقة الحقيقية هي بين الرمز اللغوي و محتواه الذهني[1]، إلا أن وعي الإنسان اعتاد على ربط الدال بالشيء الخارجي ربطاً مباشراً دون وعي بالمحتوى الذهني في العلاقة الدلالية بين الدال و المدلول، و لذلك يرى ابن سينا أن العلاقة الدلالية تنعقد بين المعنى (المدلول) و الشيء في العالم الخارجي تأكيداً أن لا علاقة مباشرة بين الدال و المدلول يقول موضحاً ذلك: "فما يخرج بالصوت يدل على ما في النفس و هي التي تسمى آثاراً، و التي في النفس تدل على الأمور و هي التي تسمى معاني. و يمكن توضيح ذلك بالمثلث التالي:

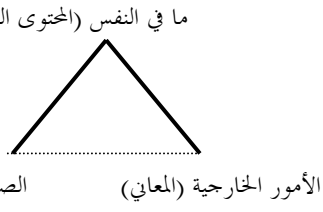

و لا تكفينا المقارنة لنقارب مثلث ابن سينا الدلالي بمثلث ريشتاردز و أوجدن، بل إن ابن سينا كان أعمق في إدراك جوهر الدلالة من المحدثين، فسمى الرمز اللغوي (صوتاً) و ذلك إشارة كذلك إلى الرمز غير اللغوي، فما كل صوت لفظ لغوي. ثم سمّى ما في النفس آثاراً و ذلك لأنّ ارتسام صورة الرمز في النفس يشكل آثاراً تتحول إلى تراكمات للمعاني الذهنية في الذاكرة فكلما تحقق مسموع صوت ارتسمت في الخيال صورته.(المصدر السابق: ١٤٤-١٤٥)

إنّ أهمية مباحث ابن سينا في الدلالة لا تكمن في عمق تصورّها لجوهر الفعل الدلالي فحسب، و إنما في بعدها الشمولي للسان البشري، و هو هدف يعكف عليه علماء الدلالة المحدثين و على رأسهم (نوام تشومسكي) في بحثه عن القواسم المشتركة بين اللغات عندما يحاول وضع قواعد أو نحو كلي[2] ينظم اللسان البشري. إن ما يجمع بين اللغات هو اشتراكها في التصورات الذهنية اشتراكاً عاماً أما ما يفرقها فهي الأنساق الدلالية و كيفية تحقيقها في واقع اللغة، مع أنّ العالم الدلالي واحد في كل اللغات، يعني ذلك – حسب رؤية تشومسكي– أن البنية العميقة مشتركة بين جميع اللغات أما الإختلاف فيكمن في البنية السطحية، و دليله في ذلك أن الطفل في طور تعرّفه الأول على الأشياء المحيطة به تتحكم في منطقة البنية العميقة أو الكفاية اللغوية و هذا ما يفسّر اشتراك الأطفال من مختلف الأجناس في ترميزهم للمدلولات في العالم الخارجي، و للتعبير عن أحوالهم السيكولوجية يقول ابن سينا شارحاً ذلك: و أمّا دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا يختلف الدال و لا المدلول عليه، كما في الدلالة بين اللفظ و الأثر النفساني، فإن المدلول عليه و إن كان غير مختلف، فإن الدال مختلف و ليس كما في الدلالة بين اللفظ و الكتابة، فإن الدال و المدلول عليه قد يختلفان. ثم إن الصورة السمعية[3] هي التي تعكس مفهوم المدلول في النفس فيكون المعنى، و يرتسم في الذهن ضمن الذاكرة اللغوية ارتباط اللفظ بمعناه، فكلما تمّ ارتسام مسموع الإسم في الخيال توارد إلى النفس معناه، و ذلك تأكيد على ما سجلناه عند

1. Concept

2. Universal Grammar
3. Image Acoustique

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

ابن سينا من أن العلاقة الحقيقية الدلالية هي بين الدال و الصورة و الذهنية، يقول ابن سينا مبرزاً ذلك: «فمعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه» (المصدر نفسه: ١٤٥-١٤٦).

٥-٧- عبد القاهر الجرجاني

و إذا نظرنا إلى أبحاث عبد القاهر الجرجاني الدلالية (ت: ٤٧١هـ) وجدناها مخططاً عملياً للموضوع، فهو حينما يتكلم عن الدلالة من خلال نظرية النظم لديه، فإنما يتكلم عن الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن الدلالة، يقول عبد القاهر: «وجب أن يعلم أنّ مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى أو عدمه، و لكن الحكم بوجود المعنى أو عدمه» (الجرجانى،١٩٨٣: ٢٣٤). لقد اهتم عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم القائمة على حسن الصياغة و توخي معاني النحو، و التي تنظر إلى العلاقة التي تنشأ بين اللفظ و المعنى من وجهة لغوية دقيقة نتيجة التحامها و شدة ارتباطها. حيث نظر إليهما نظرة المتفحص العارف بمقادير الكلام، لذلك عرف قيمة اللفظ في النظم، و عرف طريقة تصوير المعاني على حقيقتها، ثم جمع بين اللفظ و المعنى، و سوى بين خصائصهما، و رأى اللفظ جسداً و المعنى روحاً يعتمد على حسن الصياغة و دقة التصوير التي نضجت في بحوثه، و بهذه الطريقة انتهى من فكرة الفصل بين اللفظ و المعنى.

وقف عبد القاهر من مسألة اللفظ و المعنى موقفاً متريثاً ظاهره إيثار المعنى على اللفظ. قال في كلامه على التجنيس: ...و ذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الإلفاظ خدم المعاني و المصرفة في حكمها، و كانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته و أحاله عن طبيعته، و ذلك مظنة من الاستكراه و فيه فتح أبواب العيب و التعرض للشين... (زوين، ١٩٨٦ : ١٦٠).

و الدلالة على المعنى عند عبد القاهر على ضربين: دلالة مباشرة، و دلالة غير مباشرة، و هو تقسيم يتفق مع تقسيم بعض نقاد المعنى و ذلك تقسيم المعانى إلى معان أوَل و ثوان. جعل عبد القاهر مدار الدلالة الثانية على الكناية و الإستعارة و المجاز. و هي أساليب للإفصاح عن المعاني الثواني. و تأثر - في تقسيمه هذا- بمقولة (الوضع) عند الأصوليين. و فرق بموجب هذا الإعتبار بين (المعنى) و (معنى المعنى)؛ فالمعنى: هو المفهوم من ظاهر اللفظ و الذي تصل إليه بغير واسطة، و معنى المعنى: هو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر (المصدر السابق: ١٦١). و يكفي الجرجاني بما قدّمه من جهود أنّه أثار قضية البحث في معنى المعنى، و هي قضية أحدث بها العالمان ريتشاردز و أوجدن ضجّة بإصدار كتابيهما: «معنى المعنى» (The meaning of meaning) ١٩٢٣ و فيه يتساءل العالمان ليس عن تطور المعنى كما كان سائداً آنذاك في الدرس اللساني التاريخي، و إنما عن ماهية المعنى (ابو ناضر، ١٩٨٢: ٣١).

إن كثيراً من المحدثين يعتبرون اتّجاه الجرجاني قمة الجهود البلاغية العربية في ميدان البحث الدلالي، فدراسته للنظم و ما يتصل به تقف بشموخ أمام النظريات اللغوية في الغرب، بل تفوق معظمها في مجال فهم التركيب اللغوي، مع الفارق الزمني الواسع الذي يعد ميزة يختلف بها عبد القاهر عن غيره و يعود إليه فضل السبق، و اعترف له علماء كثيرون بآرائه الذكية و بخاصّة في الجزء الذي يتناول المعنى النحوي و الدلالي من كتابه «دلائل الإعجاز». و يمكن استخلاص الملامح الرئيسة لنظرية عبد القاهر

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

الجرجاني الدلالية من النص الآتي: «و إذا قد عرفت أنَّ مدار أمر النظم على معاني النحو، و على الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنَّ الفروق و الوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، و نهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليس المزية بواجبة لها في أنفسها و من حيث هي على الإطلاق، و لكن تعرض بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض و استعمال بعضها مع بعض» (جرجاني، ١٩٨٣: ٦٩). يوضّح هذا النص نظرة عبد القاهر الجرجاني للدلالة، و يحدّد عناصرها الثلاثة التي تعدّ أساسية في مناقشة دلالة اللفظ و المعنى، و هي: الغرض الذي يوضع له الكلام، النظم الذي ينظم مواقع الكلمات، اللفظ الذي يحدّد كيفية استعمال الكلمات بعضها مع بعض، و بمعنى آخر، (المعنى و الغرض) و (النظم) ثمّ (الشكل السطحي).

و لا ريب في أنَّ مثل هذا العمل يعدّ كافياً للتدليل على مساهمة البلاغة العربية و اهتمامها بالظواهر الدلالية، و هي حقيقة ينبغي الإعتراف بها و الإنطلاق منها في كلّ دراسة منصفة و جادّة. و كانت دراسة عبد القاهر للنظم و ما يتّصل به من تعليق و بناء و ترتيب من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق و التركيب.

و قدّمت البلاغة العربية فكرتين من أنبل ما وصل إليه علم اللّغة الحديث في بحثه عن المعنى الإجتماعي الدلالي، و هما: المقال و المقام. و نجد علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعاراً يهتف به كلّ ناظر في المعنى: ١- العبارة الأولى «لكلّ مقال مقام». ٢- و الثانية «لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام». و تعتبر هاتان العبارتان من نتائج المغامرات الفكرية في «دراسة اللغة في الغرب المعاصر» (حسان، بلا تا: ٢٠- ٢١).

إن المقام و محدودية الدراسة، لا تسمح لنا أن نفيض في المباحث اللغوية و الدلالية التي أثارها عبد القاهر الجرجاني، و لو استرسلنا في عرض عطاءات الجرجاني اللسانية و الدلالية لضاق بنا المجال و لأحتاج ذلك لدراسة مستقلة، تحاول أن تقارب بين ما أبدعه الجرجاني و ما قررته الدراسات اللغوية الحديثة.

٥- ٨- حازم القرطاجني

و هذا حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤ هـ) بكثرة إضاءته و تنويره في منهاج البلغاء، نجده يؤكد الحقائق الدلالية السابقة لعصره، و عنده أنها من المسلمات، حتى أنه ليقارن بين دلالة المعاني و الألفاظ و يعبر عنهما بصورة ذهنية، و هو إنما يبحث في ذلك من أجل أن يتفرغ لإتمام اللفظ بالمعنى و إتمام المعنى باللفظ، في تصور جملي متتابع، فيقول: «إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن و أنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين و أذهانهم» (حازم القرطاجني، ١٩٦٦: ١٨). فهو يرى تشخيص اللفظ للصورة الذهنية عند إدراكها بما يحقق الدلالة المركزية التي يتعارف عليها باسم الإجتماع اللغوي، أو العرف التبادري العام بما يسمى الآن الدلالة الإجتماعية، اللغوية، المركزية، و هي تسميات لمسمى واحد.

يفهم من تعريفه للمعاني و طرق المعرفة بأنحاء وجودها أن الربط بين الموجود و الصورة يتميز بشيئين: الأول: أنه ربط اعتباطي أي أن اللفظ الدال على هذا الإرتباط في الذهن ليس مقصوداً لذاته، فالعلاقة بين الدال و المدلول اعتباطية. و هنا يقترب من المنهج الوصفي، و بالأحرى

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

يقترب منه الوصفيون التركيبيون. الثاني: أن دلالة اللفظ على الإرتباط الذهني (الشيء= الصورة) دلالة رمزية، و لذلك يفرق حازم بين دلالة الألفاظ على المعاني و دلالة الخط على الألفاظ. و الخط عبارة عن حروف أي الرموز (زوين، ١٩٨٦: ١٤٥-١٤٦).

المعنى عند حازم إما أن يكون وصفاً لحال الشيء، و إما أن يكون وصفاً لحال القائل. و تترتب عليهما معان أخر. و كأنه يشير إلى عناصر المقام في المعنى الذي يعد مركز علم الدلالة. قال: «... فقد تبين بهذا أن المعاني صنفان: وصف أحوال الأشياء التي فيها القول، و وصف أحوال القائلين أو المقول على ألسنتهم. و أن هذه المعاني تلتزم معان أخر تكون متعلقة بها و متلبسة بها، و هي كيفيات مآخذ المعاني، و مواقعها من الوجود أو الغرض، أو غير ذلك؛ و نسب بعضها إلى بعض، و معطيات تحديداتها و تقديراتها، و معطيات الأحكام و الإعتقادات، و معطيات كيفيات المخاطبة...» (حازم القرطاجني، ١٩٦٦: ١٤).

٥- ٩- جلال الدين السيوطي

و نجد السيوطي (ت : ٩١١ هــ) و هو كثير النقل عمن سبقه، فكتاباته لا تعبر عن جهده الشخصي في الإستنتاج بل قد تعبر عن جهده الشخصي في الإختيار، و له في هذا الاختيار مذاهب و مذاهب، قد ينسب بعضها إلى أهلها و قد يحشر بعضها في جملة آرائه، و قد ينقلها نقلاً حرفياً، و لكنك تظنها له، و هو في هذا المجال كذلك. و إذا ما ألقى الدارس نظرة متفحصة على كتابه "المزهر في علوم اللغة" فإنَّه يجده ألــمّ بأهم المسائل المتعددة و المختلفة التي طرقها علماء العربية قبله، منها دلالة الألفاظ التي كانت تنصرف إلى درس خصائص العربية و تاريخها و فقهها، فــ "المزهر في علم اللغة"، احتوى على ثلاثة عشر باباً في بحث اللغة من حيث المعنى، إضافة إلى ما احتوته الأبواب الأخرى من آراء دلالية متعددة.

و ممّا تناوله العلماء -أيضاً- نشأة اللغة و علاقة ألفاظها بمعانيها، و انقسموا في ذلك إلى فريقين، و دخلت هذه المسألة ضمن الخلاف بين الفئات الدينية و الفكرية، و أغلبهم لا يأخذ بالرأي القائل بالصلة الطبيعية الذاتية، و يعدّ عباد بن سليمان الصيمري- أحد المعتزلة- من أشهر العلماء الذين عرفوا به حيث يقول: "إنّ بين اللفظ و مدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، و إلاّ كان تخصيص الإسم المعيّن ترجيحاً من غير مرجّح" (السيوطي، بلا تا: ١/٣٠).

و يمكن تلخيص المسائل الدلالية التي تداولها الدارسون و فقهاء اللغة كما أوردها السيوطي في أربعة آراء و هي:

١- أنّ الألفاظ تدلّ على المعاني بذواتها، و صاحب هذا الرأي هو عباد بن سليمان الصيمري.

٢- أو بوضع الله إياها، و القائل به أبو الحسن الأشعري و تلاميذه، و عليه جمهرة كبيرة من اللغويين.

٣- أو بوضع الناس، و هو رأي المعتزلة المستند إلى مفاهيم حول الذات الإلهية و نفي الجارحة عن الله عز و جلّ.

٤- أو يكون بعضها من وضع الله و الباقي من وضع الناس، و عليه علماء أصول الفقه الذين اختلفوا حول البداية، أهي من الله و التتمة من الناس أو العكس(١/٨ و مابعدها).

٦- خاتمة البحث

في تتمة هذا البحث نود أن نشير إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها على شكل نقاط رئيسية :

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

١- إن ميشال بريال اللغوي الفرنسي يعتبر مؤسس علم الدلالة المتعارف عليه اليوم، و قد اقترن اهتمامه المتزايد بالأمر مع الناقدين اللغويين الإنكليزيين أوجدن و ريتشاردز اللذين حوّلا مسيرة الدلالة بكتابهما المشترك «معنى المعنى». و لكن تجدر الإشارة (كما بينت الدراسة) إلى أن كثيراً من معطيات الدرس الدلالي الحديث توصّل لها علماء العربية و الإسلام أثناء دراستهم للغة، مما جعلنا نقول أن علم الدلالة علم قديم تناوله اللغويون من قبل، و حديث باعتبار أن أصوله و أسسه و منهج البحث فيه قد حددت في مطلع القرن العشرين حتى غدا علماً قائماً بذاته بعد أن كان ظلاً يسير في كنف الدراسات اللغوية الأخرى. في الواقع إن هذه الجهود في التراث العربي و الإسلامي، و تلك الأبحاث التي اضطلع بها اللغويون القدامى من الهنود و اليونان و اللاتين و علماء العصر الوسيط و عصر النهضة الأوروبية، فتحت كلها منافذ كبيرة للدرس اللغوي الحديث و أرست قواعد هامة في البحث الألسني و الدلالي، استفاد منها علماء اللغة المحدثون بحيث سعوا الى تشكيل هذا التراكم اللغوي في نمط علمي يستند إلى مناهج و أصول و معايير، و هو ما تجسم في تقدم العالم الفرنسي ميشال بريال في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى وضع مصطلح يشرف من خلاله على البحث في الدلالة، و هذا المصطلح هو السيمانتيك. ثم قد حدث تطور كبير في مفاهيم المصطلحات القديمة في العصر الحديث، و اتخذت أبعاداً أخرجتها من تلك الدراسة الأولية و وسعت مجال البحث فيها. إذن يمكن القول بأن معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم، و بمناهج بحثه الخاصة و على أيدي لغويين متخصصين إنما تعد من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة.

٢- تم لنا إبانة الجهود المبكرة لعلماء الإسلام و العرب، و أصالة البحث الدلالي عندهم من خلال الاستقراء التأريخي لآرائهم المتنوعة في الموضوع، و توصلنا معه إلى ما يلي:

- إن جهود العرب القدماء في مجال الدلالة تصبّ في مسارين كبيرين هما: المعجم العربي الذي بدأ برسائل ذات موضوعات دلالية هي أشبه ما تكون بالحقول الدلالية المعروفة حديثاً و قد حفل هذا الجانب بالكثير من مسائل الدلالة مثل: الحقيقة، المجاز، العام، الخاص، المشترك، التضاد و المترادف و نحو ذلك. و كانت معاجم المعاني ثمرة لهذا التطور في التصنيف المعجمي. و ثمّة مسائل دلالية أخرى عني بها علماء اللغة العربية و المعارف الإسلامية و درس هؤلاء العديد من تلك المسائل كالحديث في نشأة اللغة و دلالة ألفاظها و الكلام على أنواع اللغة من حيث المعنى، و بحثوا مصادر هذه المعاني المشتركة و المترادفة و المتضادّة، و فطنوا إلى عمل الزمن في اكتساب الألفاظ لمعانيها الثانوية. كما درسوا العلاقة القائمة بين اللفظ و المعنى من حيث الأصوات و الأبنية الصرفية و شغلوا بدراسة الإشتقاق و أنواعه و توسّعوا فيه و ما إلى ذلك. فكان لهم فضل السبق في التنبيه على ما تعارف عليه المحدثون من أنواع الدلالات: الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية أو الإجتماعية، الدلالة السياقية و التمييز بين الدلالة المركزية و الدلالة الهامشية. إذن يمكن القول بأن وضع المنطلقات الأساسية لمباحث الدلالة يعتبر ابتكاراً و سبقاً علمياً من العلماء المسلمين دون سواهم من الأمم اللاحقة الثقافة بعدة قرون.

- إن الأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي، لايمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري بل تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم لأنها مدينة للتحاور بين المنطق و علوم المناظرة و أصول الفقه و التفسير و النقد الأدبي و البيان. هذا التلاقح بين هذه العلوم النظرية و اللغوية هو الذي أنتج ذلك الفكر الدلالي العربي، الذي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

أرسى قواعد تعد الآن المنطلقات الأساسية لعلم الدلالة و علم السيمياء على السواء، بل إننا لا نجدكبير فرق بين علماء الدلالة في العصر الحديث و بين العلماء العرب و المسلمين القدامى الذين ساهموا في تأسيس وعى دلالي هام، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة و اللغويين و علماء الأصول و الفقهاء و الأدباء، فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث و الرابع و الخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، و هذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية و أصّله الدارسون في جوانبها.

- إن المدرسة الدلالية لدى العلماء العرب و المسلمين لم تتأصل فجأة، و لم تتبلور معطياتها الجمالية بغتة، و إنما عركها الزمن في تطوره من خلال الأخذ و الرد، و تقلب أيدي العلماء الكبيرة على مصطلحها حتى عادت مختمرة الأبعاد. لذلك جدير بالذكر أن هذه البحوث تعدّ من صميم علم الدلالة و لا يمكن إغفالها حين التعرّض إلى مراحل تطورها سواء عند العرب أو عند غيرهم من الأمم.

و أخيرا من أهم التوصيات هنا، حث الباحثين على دراسة التراث اللغوي الاسلامي الذي لا يستطيع أي جاحد أن ينكر مكانته و أثره على الأمم و الشعوب العربية و الغربية. و أن الإسهامات اللغوية للمفكرين المسلمين و العرب لم ينل البحث فيها ما يستحقه من عناية و اهتمام، فما زالت مجالات كثيرة في التراث الإسلامي اللغوي غير مطروقة و تحتاج إلى نظرة لغوية علمية واعية لذلك من الأفضل بأن يدرس الباحثون هذه الموضوعات في دراساتهم الآتية. كل واحد من هؤلاء المفكرين الذين ذكرت أسماؤهم في هذه المقالة، يحتاج الى دراسة مستقلة، و لكن المقام و محدودية الدراسة، لم يسمحا لي أن أفيض في المباحث الدلالية التي أثارها هؤلاء المفكرون. لذلك أقترح هذه الموضوعات للدراسات الآتية.

١- دراسة الإسهامات الدلالية التي أثارها الجاحظ و التقارب بين ما أبدعه و ما قررته الدراسات اللغوية الحديثة.

٢- دراسة الإسهامات الدلالية التي أثارها عبد القاهر الجرجاني و التقارب بين ما أبدعه و ما قررته الدراسات اللغوية الحديثة.

٣- نشأة نظرية الحقول الدلالية و تطورها في التراث العربي و الإسلامي.

٤- الحقول الدلالية و علاقتها بالمجاز.

فهرس المصادر

[١] ابن جني، أبوالفتح عثمان (١٩٥٥) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الكتاب العربي.

[٢] ابن فارس، أحمد (١٩٦٤) الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويهي، بيروت: المكتبة العربية.

[٣] ابن منظور، محمدبن مكرم (١٩٨٨) لسان العرب، تعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١.

[٤] أبو ناضر، موريس (١٩٨٢) مدخل إلى علم الدلالة، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ١٨- ١٩.

[٥] أنيس، إبراهيم (١٩٧٢) دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣.

[٦] بشر، كمال (١٩٦٩) دراسات في علم اللغة:القسم الثاني، مصر: دار المعارف.

[٧] جاحظ، عمر بن بحر (١٩٨٨) البيان و التبيين، بيروت: دار مكتبة الهلال، ط ١.

[٨] الجرجاني، عبد القاهر (١٩٨٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

[٩] حسان، تمام (بلا تا) اللغة العربية معناها و مبناها، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، (المغرب).
[١٠] داية، فايز (١٩٩٦) علم الدلالة العربي، النظرية و التطبيق، دمشق: دار الفكر، ط ٢.
[١١] رازي، محمد بن أبي بكر (١٩٨٣) مختار الصحاح، الكويت: دار الرسالة.
[١٢] رازي، فخرالدين (١٩٨٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السامرائي و محمد بركات، عمان: دار الفكر.
[١٣] زكريا، ميشال (١٩٨٣) الألسنية، علم اللغة الحديث، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط ٢.
[١٤] زكي حسام الدين، كريم (١٩٩٣) أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣.
[١٥] زمخشري، جار الله (١٩٨٦) أساس البلاغة، مصر: الهيئة العامة للكتاب.
[١٦] زملكاني، كمال‌الدين عبد الواحد (١٣٩٤ق) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجه حديثي- أحمد مطلوب، بغداد: مطبعة العاني.
[١٧] زوين، علي(١٩٨٦) منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث، دار شؤون الثقافة العامة.
[١٨] سعران، محمود(١٩٩٧) علم‌اللغه (مقدمه للقارئ العربي)، القاهره: دارالفكر العربي، ط ٢.
[١٩] سيبويه، عمرو بن عثمان(١٩٩٨) الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة و النشر، ط ٣.
[٢٠] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين(بلا تا) المزهر في علوم اللغة، شرح و تصحيح و تعليق محمد أحمد جاد المولى، و آخران، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي و شركاه بمصر.
[٢١] عكاشة، محمود(٢٠٠٥) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، القاهرة: دار النشر للجامعات، ط ١.
[٢٢] عمران، حمدي بخيت (٢٠٠٧) علم الدلالة بين النظرية و التطبيق، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
[٢٣] فيروزآبادي، محمدبن يعقوب(١٩٨٣) القاموس المحيط، بيروت: دار الفكر.
[٢٤] قدور، أحمد محمد (١٩٩٦) مبادئ اللسانيات، دمشق: دار الفكر، ط ١.
[٢٥] القرطاجني، أبوالحسن حازم(١٩٦٦) منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، تونس: دار الكتب الشرقية.
[٢٦] مبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (بلا تا) المقتضب، تحقيق محمد بعد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب.
[٢٧] مختار عمر، أحمد (١٩٢٨) علم الدلالة، الكويت: مكتبة دار العروبة، ط ١.
[٢٨] مسدي، عبد السلام (١٩٨١) التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط ١.
[٢٩] مطلوب، أحمد (١٩٨٣) البلاغة عند الجاحظ، بغداد: منشورات وزارة الثقافة و الإعلام .

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

جلوه‌هایی از پژوهش‌های معناشناختی در میراث عربی و اسلامی

مهین حاجی زاده[1]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۱۲/۲٤ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۱۰/۱۳

پدیده معنی از موضوعاتی است که از دیر باز اندیشه بشر را به خود مشغول داشته است. نقش علمای مسلمان و عرب در بررسی مسایل مربوط به معنا بسیار حائز اهمیت بوده است. در ابتدا انگیزه اصلی آنها، از روی آوردن به مطالعه زبان، بیشتر انگیزه دینی و حفظ کتاب خدا از تحریف و نیز فهم عمیق قرآن کریم و استخراج احکام شرعی آن بوده است، بنابراین ترس از اختلاف و فساد معنا در تلاوت آیات بزرگ‌ترین تأثیر را در پیدایش و روی آوردن علمای مسلمان به مطالعات معنایی داشته است. به همین دلیل کلیه بحث‌های زبانی علمای مسلمان از همان ابتدا متمرکز بر معانی و مقاصد قرآنی بوده است.

لازم به ذکر است که معنی شناسی در میراث عربی و اسلامی در ابتدا به عنوان علمی مستقل با موضوعات و استانداردهای ویژه نبود بلکه معمولا در خلال مباحث زبانی دیگری بررسی می‌شد. از این رو متاسفانه بسیاری از پژوهشگران معتقدند که معنی‌شناسی به برکت پژوهش‌های زبانشناسی نوین شکل گرفته و رشد کرده است و علمای مسلمان هیچ گونه آشنایی با این علم نداشتند و به طور کلی علم معنی شناسی ثمره یی از ثمرات مطالعات زبانشناسی نوین است. اما در واقع پژوهش های معنایی عربی از قرن های سوم، چهارم، و پنجم هجری آغازشده، و به قرن های بعدی امتداد یافته است و این تاریخ زود هنگام به معنای پختگی مطالعات معنایی علمای مسلمان و عرب است.

مقاله حاضر در صدد است تا نخست به تبیین تلاش های علمای مسلمان و عرب در مطالعات مربوط به معنا پرداخته و میزان اهتمام آنها را به معنی نشان دهد. سپس برای اثبات اصالت معنا نزد پژوهشگران عرب اعم از لغویها، نحویان و بلاغی ها دلایلی را ارائه داده و بیان کند که معنی شناسی علمی، عربی – اسلامی است که دارای ویژگی ها و مشخصه های خاصی است. در عین حال به این

۱. استادیار وعضو هیأت علمی دانشگاه تربیت معلم آذربایجان، hajizadeh_tma@yahoo.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]

نکته اذعان دارد که علم زبان شناسی در نهادینه کـردن روش هـای تحقیـق در زمینـه معنـی شناسـی و تدوین اصول آن نقش برجسته‌ای دارد. به‌گونه‌ای که مطالعات مربوط به معنی، بعد از آن‌کـه بـه طـور پراکنده در خلال علوم دیگر بررسی می‌شد، به فضیلت علم زبان شناسی به علمی مستقل تبـدیل شـده است. علاوه بر آن پژوهش حاضر با ذکر نمونه‌هایی، اثبات می کنـد کـه علمـای عربـی و مسـلمان در خلال مطالعات زبانی خود به بسیاری از دستاوردهای مطالعات معنایی نوین دست یافتـه‌انـد و از ایـن جهت می توان معنی شناسی را علمی قدیم دانست که زبانشناسان عربی و مسلمان قرنهـا پـیش بـه آن پرداخته اند و از سویی می‌توان آن را علمی جدید به شمار آورد، چرا که اصـول و پایـه هـا و و روش بررسی آن در آغاز قرن بیستم، مشخص و تعریف شده است.

کلید واژگان: معنی‌شناسی، معنا، سنت، زبان‌شناسی، دانشمندان زبان عربی و اسلامی.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-19]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.8.6]